أسرار البلاغة في سورة يٰسٓ من خلال كتاب "صفوة التفاسير" للصابوني

Mr. M. Mohamed Inamul Hasan,
Assistant Professor,
PG & Research Department of Arabic,
Jamal Mohamed College (Autonomous),
Tiruchirappalli-620020.
Email: buhariqasimi@gmail.com

محمد إنعام الحسن البخاري
الأستاذ المساعد،
قسم اللغة العربية للماجستير والبحوث،
كلية جمال محمد، التابعة لجامعة بهاراتيداسان، تروشي، الهند.

Dr. A.M. Ali Ibrahim Jamali
Assistant Professor,
PG & Research Department of Arabic,
Jamal Mohamed College (Autonomous),
Tiruchirappalli-620020.
Email: aliibrahimjamali@gmail.com

الدكتورعلي إبراهيم الجمالي
الأستاذ المساعد،
قسم اللغة العربية للماجستير والبحوث،
كلية جمال محمد، التابعة لجامعة بهاراتيداسان، تروشي، الهند.

Abstract:

This research presents an analytical study of the rhetorical secrets (Balagah) in Surah Yā Sīn, based on the renowned exegesis book "Safwat Al-Tafaseer" by Sheikh Muhammad Ali Al-Sabuni (may Allah have mercy on him). The study aims to uncover the stylistic, rhetorical, and semantic dimensions within the Surah, demonstrating how they serve its core doctrinal and theological objectives. Utilizing an inductive-analytical methodology, the study tracks and classifies the rhetorical subtleties highlighted by Al-Sabuni into the three traditional branches of Arabic rhetoric: Ilm al-Bayan , Ilm al-Badi' , and Ilm al-Ma'ani.

The research concludes that the rhetorical techniques in Surah Yā Sīn are organically intertwined with its overarching themes, such as affirming the resurrection and the oneness of the Creator. Furthermore, the study highlights the significant methodological value of "Safwat Al-Tafaseer" in making the rhetorical miracles of the Quran accessible to researchers and general readers through a contemporary and simplified scientific approach.

Keywords:

Secrets of Rhetoric, Surah Yā Sīn, Safwat al-Tafasir, Rhetorical Inimitability, Sciences of Rhetoric (Al-Bayan, Al-Badi', Al-Ma'ani).

الملخص

يتناول هذا البحث دراسة تحليلية لأسرار البلاغة في سورة يٰسٓ، مستنداً إلى كتاب "صفوة التفاسير" للعلامة الشيخ محمد علي الصابوني رحمه الله. تهدف الدراسة إلى استجلاء الوجوه البيانية والبديعية والمعنوية في السورة، وبيان كيفية توظيفها لخدمة المقاصد العقدية والقرآنية. اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي لتتبع اللطائف البلاغية التي أوردها الصابوني، وتصنيفها وفق علوم البلاغة الثلاثة: علم البيان، وعلم البديع، وعلم المعاني.

وقد خلص البحث إلى أن الأساليب البلاغية في سورة يٰسٓ جاءت متلاحمة تلاحماً عضوياً مع المقاصد الكبرى للسورة، كإثبات البعث والنشور وتوحيد الخالق. كما أبرزت الدراسة القيمة المنهجية المتميزة لكتاب "صفوة التفاسير" في تقريب علوم البلاغة القرآنية للباحث والقارئ بأسلوب علمي ميسر وعصري.

الكلمات المفتاحية:

أسرار البلاغة، سورة يٰسٓ، صفوة التفاسير، الإعجاز البياني، علوم البلاغة (البيان، البديع، المعاني)

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن بلسانٍ عربيٍّ مبين، وجعله معجزةً خالدةً تتحدى الإنس والجن ببيانه ونظمه المحكم، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ أفصحِ الخلقِ لسانًا، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن القرآن الكريم هو المعجزة البيانية الكبرى التي لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد. وكلما غاص الباحثون في بحار آياته، استخرجوا منها لآلئ البلاغة وجواهر المعاني. ومن بين سور القرآن الكريم التي تجلت فيها روعة النظم وعظمة التصوير: "سورة يس"، التي تُعد قلب القرآن الكريم. وتبرز أهمية الدراسة عن هذه السورة من الناحية البلاغية في الكشف عن التناسق العجيب بين اللفظ والمعنى، وكيفية توظيف الأساليب البيانية والبديعية في خدمة المقاصد العقدية.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تكمن أهمية هذا البحث في تسليط الضوء على "أسرار البلاغة" في سورة يس، لكونها سورة عظيمة يكثر المسلمون من تلاوتها، مما يستدعي الوقوف على دلالاتها البيانية وأسرارها اللغوية لزيادة التدبر والخشوع. وقد وقع الاختيار على كتاب "صفوة التفاسير" للعلامة محمد علي الصابوني ليكون منطلقاً لهذا البحث، نظراً لما تميز به هذا التفسير من عناية خاصة بإبراز اللطائف البلاغية في نهايات المقاطع التفسيرية، بأسلوب علمي دقيق وميسر.

التعريف بسورة "يس" ومقاصدها العامة:

بناءً على ما أورده الإمام الصابوني في قسم "بين يدي السورة"، فإن سورة يس هي سورة مكية، وقد سُميت بهذا الاسم لأن الله تعالى افتتحها به. وقد تناولت السورة الكريمة ثلاثة مواضيع أساسية هي[١]:

١. **الإيمان بالبعث والنشور:** وهو الموضوع الأساسي الذي خُتمت به السورة بإقامة الأدلة والبراهين على حدوثه.

١ الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، المجلد الثالث، ص: ٥

٢. **قصة أهل القرية:** الذين كذبوا الرسل، لبيان عاقبة التكذيب بالوحي، وفيها تبرز قصة الداعية المؤمن "حبيب النجار".

٣. **الأدلة والبراهين على وحدانية رب العالمين:** حيث استعرضت السورة دلائل القدرة في الكون العجيب، كمشهد الأرض الجرداء التي تدب فيها الحياة، ومشهد انسلاخ الليل من النهار، وجريان الشمس والقمر في فلكهما، ومشهد الفلك المشحون.

نبذة عن كتاب "صفوة التفاسير" ومنهجه:

يُعد كتاب "صفوة التفاسير" من أبرز الإنجازات العلمية التي قدمها العلامة محمد علي الصابوني للمكتبة الإسلامية، وأهم بصماته في مجال علوم القرآن الكريم. لقد حظي هذا العَلَق النفيس بقبول واسع وانتشار كبير، وتكمن الأهمية الجوهرية لهذا المُؤلَّف في قدرة كاتبه على استخلاص عصارة أمهات كتب التفسير المعتمدة – كتفسير الطبري، وابن كثير، والقرطبي، والزمخشري – وتقديمها للقارئ في حُلَّة لغوية عصرية.

وقد شكّل هذا العمل بوابَّة معرفية قيّمة تتيح للمسلم المعاصر فهم كلام الله تعالى دون الغوص في أمهات الكتب التراثية التي قد يصعب استيعاب مصطلحاتها على غير المتخصصين. وقد انبثقت فكرة هذا المشروع التفسيري من قراءةٍ واعية للشيخ الصابوني لواقع الأمة الإسلامية المعاصر وتسارع وتيرة الحياة، مما دفعه لتقريب معاني القرآن الكريم وتسليط الضوء على وجوه الإعجاز والبلاغة فيه بلغة حديثة ورصينة، مسمياً إياه بـ"صفوة التفاسير" ليكون خلاصةً وصفوةً لما في التفاسير المطولة.

أما عن **المنهجية العلمية** المتبعة فيه، فقد سلك الشيخ مساراً منهجياً دقيقاً، يتميز بالترتيب والتسلسل المنطقي. حيث اعتمد في معالجته لكل سورة على سبع خطوات تنظيمية ثابتة، وهي:

١. **بين يدي السورة:** وهي مقدمة عامة لتقديم لمحة إجمالية عن السورة وإبراز محاورها.

٢. **المناسبة:** لبيان وجه الارتباط والتسلسل المنطقي بين الآيات السابقة واللاحقة.

٣. **اللغة:** وتشمل شرح المفردات القرآنية، والوقوف على أصولها.

٤. **أسباب النزول:** إيراد الروايات التي توضح السياق التاريخي لنزول الآيات.

٥. **التفسير:** الشرح الإجمالي والمفصل لمعاني الآيات الكريمة.

٦. **البلاغة:** استخراج الوجوه البيانية، واللمسات الجمالية، وأسرار الإعجاز البلاغي وهو المحور الأساسي والميدان التطبيقي لهذا البحث.

٧. **الفوائد واللطائف :** استنباط الدروس العملية والعبر من الآيات.

أهداف البحث ومنهجيته:

يهدف هذا البحث إلى استخراج وتحليل الأسرار البلاغية في سورة يس من خلال كتاب "صفوة التفاسير"، وتصنيفها وفق علوم البلاغة الثلاثة (البيان، البديع، المعاني)، وبيان أثر هذه الأساليب في إيصال المعنى القرآني وتثبيته في النفوس. ويعتمد البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك باستقراء اللطائف البلاغية التي أوردها الصابوني في تفسيره لسورة يس، ثم تحليلها وتصنيفها بلاغياً وربطها بالسياق الموضوعي للآيات الكريمة.

المبحث الأول: علم البيان وتصوير المعاني في سورة يس

يُعدّ "علم البيان" من أجلّ علوم البلاغة، وهو العلم الذي يُعنى بإيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه، ويعتمد بشكل أساسي على التصوير الفني والخيال. وقد تجلى هذا العلم في سورة "يس" بأبهى صوره، حيث زخرت السورة بالصور البيانية الرائعة التي تجسد المعاني المجردة في صور حسية مؤثرة، وذلك من خلال فنون الاستعارة، والتشبيه، والمجاز، كما أشار إلى ذلك الإمام الصابوني في تفسيره.

المطلب الأول: الاستعارة بأنواعها في السورة

الاستعارة هي من أبلغ أساليب البيان، وقد تنوعت الاستعارات في سورة يس لخدمة المعاني القرآنية الجليلة، ومن أبرزها كما ورد في "صفوة التفاسير":

- **الاستعارة التصريحية:** تبرز الاستعارة التصريحية في قوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾. وقد بيّن الإمام الصابوني روعة هذه الاستعارة قائلاً: "شبه إزالة ضوء النهار وانكشاف ظلمة الليل بسلخ الجلد عن الشاة، واستعار اسم (السلخ) للإزالة والإخراج واشتق منه نسلخ بمعنى نخرج منه النهار بطريق الاستعارة التصريحية، وهذا من بليغ الاستعارة".

- **الاستعارة التمثيلية:** وهي التي يكون فيها وجه الشبه منتزعاً من متعدد، وقد جاءت في مواضع عدة لتعميق الصورة، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالاً...﴾، حيث يقول الصابوني: "شبه حال الكفار في امتناعهم من الهدى والإيمان بمن غلت يده إلى عنقه بالسلاسل والأغلال فأصبح رأسه مرفوعاً لا يستطيع خفضاً له ولا التفاتاً، وبمن سُدّت الطرق في وجهه فلم يهتد لمقصوده، وذلك بطريق الاستعارة التمثيلية"[٢]. ومثال آخر في قوله تعالى: ﴿أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ حيث "شبه سرعة تأثير قدرته تعالى ونفاذها في الأشياء بأمر المطاع من غير توقف ولا امتناع... وهو من لطائف الاستعارة".
- **الاستعارة اللطيفة:** وردت هذه الاستعارة الدقيقة في قول الكفار يوم البعث: ﴿يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾، حيث بيّن الصابوني أن "المرقد هنا عبارة عن الممات، فشبهوا حال موتهم بحال نومهم، لأنها أشبه الأشياء بها، وأبلغ من قوله: من بعثنا من مماتنا".

المطلب الثاني: التشبيه و أقسامه ودلالاته

لعب التشبيه دوراً بارزاً في تقريب المعاني إلى الأذهان في سورة يس، وقد وقف الإمام الصابوني عند أنواع دقيقة من التشبيه، منها:

- **التشبيه التمثيلي:** وقد جاء في وصف منازل القمر في قوله تعالى: ﴿حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾. يشرح الصابوني هذا الجمال البياني مبيناً أن "وجه الشبه مركب من ثلاثة أشياء: الرقة، والانحناء، والصفرة". وهذا الوصف الدقيق يربط المشاهد الكونية بمدركات الإنسان الحسية في بيئته.
- **التشبيه البليغ:** وهو ما حُذف منه أداة التشبيه ووجه الشبه للمبالغة في قوة الإلحاق، كما في قوله تعالى في شأن المشركين مع آلهتهم: ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾، أي أنهم "كالجند في الخدمة والدفاع، حذفت أداة التشبيه ووجه الشبه فأصبح بليغاً"[٣].

المطلب الثالث: المجاز وتنزيل غير العاقل منزلة العاقل

من أساليب البيان العالية في السورة استخدام المجاز، وخاصة أسلوب "تنزيل غير العاقل منزلة العاقل" لإضفاء الحياة والحركة على المشاهد الكونية، مما يزيد من هيبة الموقف وعظمة الخالق.

---

٢ الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، المجلد الثالث، ص: ١٢

٣ الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، المجلد الثالث، ص: ٢٦

ويتجلى ذلك بوضوح في قوله تعالى عن الأجرام السماوية: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾. يعلق الإمام الصابوني على هذه اللطيفة البلاغية قائلاً: "تنزيل غير العاقل منزلة العاقل: (يسبحون) بدل يسبح، فقد عبّر عن الشمس والقمر والكواكب بضمير جمع المذكر، والذي سوّغ ذلك وصفهم بالسباحة لأنها من صفات الأحياء و العقلاء". هذا التنزيل يصور الكون وكأنه كائنات عاقلة ومطيعة، تسبح في مساراتها بانتظام وانقياد تام لأمر الله عز وجل.

المبحث الثاني: علم البديع والمحسنات اللفظية والمعنوية

يُعدّ "علم البديع" من الفنون البلاغية التي تضفي على الكلام رونقاً وجمالاً، وتزيد من قوة تأثيره في النفوس من خلال المحسنات المعنوية واللفظية. وقد حوت سورة "يس" العديد من هذه المحسنات البديعية التي وظفت توظيفاً دقيقاً لخدمة المعنى القرآني، وقد اعتنى الإمام الصابوني في "صفوة التفاسير" بإبراز هذه الجماليات، والتي نقسمها في هذا المبحث إلى المطالب الآتية:

المطلب الأول: الطباق بنوعيه والمقابلة و أثرها في توضيح المعنى

الطباق والمقابلة من المحسنات المعنوية التي تبرز المعاني وتوضحها من خلال ذكر الشيء وضده، وبضدها تتبين الأشياء. وقد أورد الصابوني أمثلة بديعة لذلك من السورة:

- **طباق الإيجاب:** وقف الإمام الصابوني عند مواضع عدة لطباق الإيجاب في السورة، منها قوله تعالى: ﴿مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾، ففيه طباق بين (بين أيديهم) و (من خلفهم). وكذلك الطباق بين الموت والإحياء في قوله: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا﴾، والطباق بين (الليل) و (النهار). وفي أواخر السورة أشار الصابوني إلى الطباق بين (مُضِيًّا) و (يَرْجِعُونَ)، وبين (يُسِرُّونَ) و (يُعْلِنُونَ)، وهو ما يرسخ المعنى في الذهن من خلال التضاد المباشر.
- **طباق السلب:** من أروع أمثلة طباق السلب التي أوردها الصابوني قوله تعالى: ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ (بين: أنذرتهم، ولم تنذرهم). ومن الأمثلة العميقة في السورة قوله تعالى: ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ... وَأَنِ اعْبُدُونِي﴾، حيث جمع بين النهي عن العبادة والأمر بها لتأكيد التوحيد الخالص.

- **المقابلة:** تتجلى المقابلة في قوله تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، حيث يوضح الصابوني روعتها قائلاً: "الآية قابل بين الإنذار والإعذار، وبين المؤمنين والكفار، ويعمق القول على الكافرين وهو من ألطف التعبير"[٤].

المطلب الثاني: الجناس و أثره في الإيقاع الصوتي للآيات

الجناس هو تشابه الكلمتين في اللفظ واختلافهما في المعنى، وهو من المحسنات اللفظية التي تضفي جرساً موسيقياً عذباً يلفت الانتباه. وقد استخرج الصابوني من السورة لطائف للجناس، منها:

١. **الجناس الناقص:** ذكره الصابوني في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾، مبيناً أن بين كلمتي (نحن) و (نحيي) جناس ناقص "لتغير بعض الحروف"، مما يعطي توازناً صوتياً مهيباً يتناسب مع جلال موقف إحياء الموتى.

٢. **جناس الاشتقاق:** وهو تجمع الكلمات في جذر لغوي واحد، وقد أشار الصابوني إليه في قوله تعالى حكاية عن أهل القرية ورسلهم: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ وردهم ﴿طَائِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ (بين: تطيرنا، وطائركم). وكذلك في قوله: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا...﴾ مع ﴿إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ (بين: أرسلنا، والمرسلون). وهذا التكرار الاشتقاقي يربط أجزاء القصة ببعضها ويزيد من إيقاعها التأثيري.

المطلب الثالث: السجع القرآني غير المتكلف وتوافق الفواصل

امتاز القرآن الكريم بأسلوبه الفريد الذي يجمع بين قوة المعنى وحلاوة الإيقاع، ومن ذلك "مراعاة الفواصل" و"السجع غير المتكلف".

- **السجع غير المتكلف:** يُعد السجع في القرآن الكريم مظهراً من مظاهر الإعجاز الفني إذا جاء عفوياً خادماً للمعنى بلا تكلف. يذكر الصابوني أمثلة لذلك في ختام الآيات الكريمة، مثل: ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾ ومثل: ﴿مِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ * فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾، وكذلك:

٤ الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، المجلد الثالث، ص: ٢٦

﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ مع ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾. ويعلق الصابوني على ذلك بقوله: "وهو من المحسنات البديعية"[٥].

- **مراعاة الفواصل القرآنية:** أكد الصابوني على أن "مراعاة الفواصل وهو من خصائص القرآن لما فيه من روعة البيان، وحسن الوقع على السمع، وهو كثير مشهور". فتوافق نهايات الآيات في سورة يس بحرفي (النون) و (الميم) أضفى على السورة نغمة حزينة ومهيبة في ذات الوقت، تتناسب مع موضوعاتها في الإنذار، وأهوال يوم القيامة، وقصص المكذبين.

المبحث الثالث: علم المعاني ودقة النظم القرآني

يعدّ "علم المعاني" من أهم أركان البلاغة العربية، وهو العلم الذي يُعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال. وقد تميز النظم القرآني في سورة "يس" بدقة متناهية في اختيار التراكيب والأساليب التي تتناسب مع مقامات الدعوة، والإنذار، والترغيب، والترهيب. وقد أبرز الإمام الصابوني في "صفوة التفاسير" جماليات هذا العلم في السورة من خلال عدة أساليب، نتناولها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: أسرار الإيجاز بالحذف ودلالاته

الإيجاز هو جمع المعاني الكثيرة تحت الألفاظ القليلة، ومن أبلغ صوره "الإيجاز بالحذف" الذي يترك للمتلقي مساحة للتأمل وإعمال الفكر، فضلاً عن تهويل الموقف. وقد وقف الصابوني عند أمثلة رائعة لذلك، منها:

- **حذف جواب الشرط:** في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، يشير الصابوني إلى أن "جواب الشرط محذوف تقديره: أعرضوا واستكبروا، ودل عليه قوله تعالى: (إلا كانوا عنها معرضين)". وهذا الحذف أبلغ من الذكر، لأنه يدل على شناعة إعراضهم المتكرر[٦].
- **الحذف لدلالة السياق عليه:** كما في قصة حبيب النجار، في قوله تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾، حيث يوضح الصابوني روعة هذا الحذف قائلاً: "أي فلما أشهر إيمانه قتلوه فقيل له ادخل الجنة". فطوى القرآن ذكر حادثة القتل البشعة لينتقل مباشرة إلى التكريم والنعيم، مما يبرز سرعة الجزاء للمؤمنين.

---

٥ الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، المجلد الثالث، ص: ٢٠

٦ المصدر السابق، ص: ١٧

المطلب الثاني: الإطناب وأغراضه البلاغية

على عكس الإيجاز، يأتي "الإطناب" بزيادة اللفظ على المعنى لفائدة بلاغية تقرر المعنى في النفس. ومن أغراضه في السورة التكرار للتوكيد وإظهار شدة الحرص.

- **التكرار للتوكيد:** يشير الصابوني إلى جمال الإطناب في نصيحة الرجل الصالح لقومه: "الإطناب بتكرار الفعل ﴿اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا﴾". فتكرار فعل الأمر هنا ليس تكراراً عبثياً، بل هو إطناب يفيد المبالغة في النصح والحرص على نجاة قومه، وتأكيداً على صدق الرسل بتنزيههم عن الأطماع الدنيوية.

المطلب الثالث: خروج الأساليب الإنشائية عن معناها الأصلي

تخرج الأساليب الإنشائية (كالاستفهام، والأمر، والنداء) في القرآن الكريم عن معانيها الحقيقية إلى معانٍ مجازية أخرى يقتضيها السياق. وقد رصد الصابوني أمثلة دقيقة للاستفهام البلاغي في السورة:

- **الاستفهام التوبيخي:** وذلك في قوله تعالى حكاية عن مؤمن آل يس: ﴿أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً﴾، حيث نبه الصابوني على أن هذا "الاستفهام للتوبيخ"، يوبخ به قومه على سفاهة عقولهم في ترك عبادة الخالق وعبادة ما لا ينفع ولا يضر.
- **الاستفهام الإنكاري للتقريع:** كما في قوله تعالى للمجرمين يوم القيامة: ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾، وقوله تعالى عن الكفار: ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾، حيث اعتبر الصابوني هذا الأسلوب "الاستفهام الإنكاري للتوبيخ والتقريع"، تقريعاً لهم على تعطيل عقولهم وجحودهم لنعم الخالق[٧].

المطلب الرابع: أساليب التوكيد المتنوعة والتنكير وصيغ المبالغة

حفلت السورة بأساليب التوكيد والمبالغة لترسيخ العقيدة في النفوس المنكرة، وتجسد ذلك في:

٧ الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، المجلد الثالث، ص: ٢٦

- **أساليب التوكيد المتنوعة:** يقرر الصابوني قاعدة بلاغية هامة عند تفسير قوله تعالى حكاية عن الرسل: ﴿إِنَّا إِلَيْكُم لَمُرْسَلُونَ﴾، بقوله: "التأكيد بأكثر من مؤكد لأن المخاطب منكر... فقد أكد كل منها بـ (إن) و (اللام) ويسمى هذا الضرب إنكارياً"، وهذا من دقة الأسلوب القرآني في مراعاة حال المخاطب.
- **التنكير للتعظيم والتهويل:** وذلك في قوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ﴾، وقوله: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ﴾، يوضح الصابوني أن "التنكير للتفخيم والتعظيم ﴿وآية لهم﴾ أي آية عظيمة باهرة على قدرة الله"[٨].
- **استخدام صيغ المبالغة:** استخدمت السورة صيغ المبالغة لبيان كمال القدرة الإلهية وضعف المخلوق، كاستخراج الصابوني لـ "صيغة المبالغة ﴿خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾، ﴿الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾". وختم السورة بأعظم صيغ المبالغة في قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، حيث بيّن الصابوني الفائدة البلاغية منها قائلاً: "الملكوت صيغة مبالغة من الملك، ومعناه الملك الواسع التام مثل الجبروت والرحموت للمبالغة".

الخاتمة

في ختام هذا البحث المبارك، وبعد هذه الرحلة الممتعة في رحاب القرآن الكريم، ومن خلال سبر أغوار أسرار "سورة يس" بالاعتماد على كتاب "صفوة التفاسير" للعلامة الإمام محمد علي الصابوني رحمه الله، تم التوصل إلى مجموعة من النتائج والثمرات العلمية التي تبرز عظمة النظم القرآني وإعجازه البياني.

لقد أثبت البحث بشكل جليّ أن الأساليب البلاغية في سورة يس لم تأتِ لمجرد التزيين اللفظي والشكلي، بل جاءت متلاحمة تلاحماً عضوياً لخدمة المقاصد العقدية للسورة، كإثبات البعث، وتوحيد الخالق، وصدق الرسالة. وقد تجلى ذلك من خلال الاعتماد الدقيق على الاستعارة بأنواعها، والتشبيه، والمجاز، لتجسيد المعاني الغيبية والمشاهد الكونية في صور حسية نابضة بالحياة، مما يجعلها أوقع في النفس وأقوى في الإقناع.

فقد كشفت الدراسة عن روعة توظيف القرآن للمحسنات المعنوية واللفظية كالطباق، والمقابلة، والجناس، ومراعاة الفواصل.من عناصر علم البديع حيث أسهمت هذه الفنون في إحداث جرس موسيقي وإيقاع صوتي مهيب يتناسب تماماً مع مواقف الإنذار، والرهبة، وأهوال يوم القيامة.برزت دقة القرآن المتناهية في اختيار أساليب الإيجاز بالحذف، والإطناب للتوكيد، واستخدام صيغ المبالغة، بالإضافة إلى خروج الأساليب الإنشائية (كالاستفهام) إلى أغراض التوبيخ والتقريع، مما يمثل أعلى درجات البلاغة في مراعاة مقتضى حال المخاطبين.

٨ الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت، المجلد الثالث، ص: ١٩

كما أبرز هذا البحث القيمة العلمية والمنهجية العالية لكتاب "صفوة التفاسير"، حيث أثبت تفوق الإمام الصابوني في استخلاص اللطائف البلاغية بعبارة موجزة ومشرقة، وقدرته الفائقة على ربط الإعجاز البياني بالمعنى التفسيري بأسلوب عصري ميسر، مما جعله مرجعاً لا غنى عنه في فهم كتاب الله.

وبناءً على ما تقدم من نتائج، يوصي البحث بضرورة توسيع دائرة الدراسات البلاغية لتشمل سوراً أخرى من القرآن الكريم بالاعتماد على التفاسير المعاصرة، وإفراد دراسات أكاديمية مستقلة لتحليل المنهج البلاغي عند الإمام الصابوني في كامل تفسيره. كما نوصي الدعاة والخطباء بالاستفادة من هذه اللطائف البيانية وتوظيفها في خطبهم ودروسهم؛ لما لها من أثر بالغ في التأثير في القلوب وإبراز عظمة القرآن في العصر الحديث.

وختاماً، نسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به الباحث والقارئ، وأن يرزقنا جميعاً تدبر كتابه والعمل بمحكمه. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

- القرآن المجيد.
- الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، بيروت

*****